حفظ العزّة والإستقلال الوطني

الزمان والمكان: 20 صفر/1427 هـ ــ طهران

المناسبة: أربعينية الإمام الحسين (ع) وبداية العام الهجري الشمسي

الحضور: جمع من أهالي مشهد المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلات والسّلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

أشكر الله تعالى أن مدَّ في عمري، ومنَّ عليَّ بهذه الفرصة للقاء الأخوة والأخوات القادمين من جميع أرجاء البلد، والمجتمعين إلى جوار المرقد المطهر للإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة مع بداية العام الهجري الشمسي.

إنتبهوا أيَّها الأخوة والأخوات، فإني أرغب في بداية حديثي أن أتكلّم شيئاً ما عن أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

لقد اقترن عيد النوروز في هذا العام مع أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، فتلوّن عيدنا وعامنا الجديد بصبغة حسينية، وتنوّر باسم أبي الأحرار وسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.

وسواء عاد أهل بيت الرسول (ص) في يوم الأربعين إلى كربلاء ــ حيث روى ذلك البعض ــ أم لم يعودوا، فليس هناك شكّ في أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري قد طوى بمرافقة أحد كبار التابعين ــ الذي كان يسميه البعض عطية والبعض الآخر عطاءً، ويحتمل أنّه عطية بن حارث الكوفي الهمداني، وعلى كل حال هو أحد كبار التابعين الساكنين في مدينة الكوفة ــ الطريق وحلا عند القبر الطاهر لشهيد كربلاء.

إنّ بداية الجاذبة المغناطيسية الحسينية، بدأت من يوم الأربعين، وإنّ القوة الجاذبة التي دفعت جابر بن عبد الله الأنصاري على مغادرة المدينة والتوجّه نحو كربلاء، هي نفس الجاذبة الموجودة في قلوبنا على مرّ القرون المتمادية.

إنّ لأربعينية الإمام الحسين عليه السلام دور تعرّفَ من خلاله بعض الأفراد بمقام أهل البيت عليهم السلام، فأصبحت قلوبهم تنبض بمحبة وعشق كربلاء، بالإضافة إلى تعلقهم بالتربة الحسينية والمرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام.

إنّ جابر بن عبد الله الأنصاري يُعدّ من مجاهدي صدر الإسلام الأول، ومن أصحاب بدر، وقد كان إلى جانب الرسول (ص) وجاهد معه قبل ولادة الإمام الحسين عليه السلام؛ أي أنه رأى بعينه ولادته ونشأته.

ومن المسلّم أنّ جابر بن عبد الله قد رأى الرسول الأعظم (ص) لمرّات عديدة وهو يضمّ الحسين بن علي عليه السلام إلى صدره، ويقبّله في عينيه وعلى وجهه، ويُغذّيه الطعام والشراب بيده الشريفة، فأغلب الظنّ أنّ جابر بن عبد الله رأى ذلك بأم عينه.

ومما لاشكّ فيه أنَّ جابر بن عبد الله قد سمع الرسول (ص) وهو يقول: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[1].

وكذلك بعد وفاة الرسول (ص) بقيت مكانة الإمام الحسين عليه السلام وشخصيته ــ سواءً في زمان الخلفاء أو في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، في المدينة المنورة أو في الكوفة ــ ماثلة أمام عيني جابر بن عبد الله الأنصاري.

وعندما سمع جابر أنّ الحسين بن علي عليه السلام عزيز الرسول (ص) قد اُستشهد، وقُتل عطشاناً، انطلق من المدينة، وعند وصوله إلى الكوفة رافقه عطيّة، وقد روى ذلك[2]، قائلاً:

(وصل جابر بن عبد الله إلى شط الفرات، واغتسل فيه، ثم ارتدى ثياباً بيضاء نظيفةً، وتوجّه نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام ماشياً بكل وقار وسكينة.

ــ إنّ الرواية التي رأيتها تقول أنه عندما وصل جابر إلى القبر قال ثلاثاً بصوت عال: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر)؛ أي أنه أخذ بالتكبير عندما علم

---

[1] من لا يحضره الفقيه: ج4، ص 179. كتاب الوصية،باب الوصية من لدن آدم (ع)، الحديث 3.

[2] بحار الأنوار: ج98، ص 329. باب (25) زيارة الأربعين، الحديث 1.

كيف استشهد عزيز الرسول (ص) وعزيز الزهراء عليها السلام مظلوماً من قِبَل الأيادي الآثمة للطغاة وعبدة الشهوات ــ

ثم قال عطيّة: (ولقد فَقَدَ جابر بن عبد الله صوابه عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وأغمي عليه وسقط إلى الأرض) ــ لا نعلم ما الذي جرى بعد ذلك ــ إلا أنه يقول في هذه الرواية: عندما عاد جابر إلى وعيه، أخذ بمخاطبة الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: (السلام عليكم يا آل الله، السلام عليكم يا صفوة الله).

أيها الشهيد المظلوم.

نحن اليوم أيضاً نقول من أعماق وجودنا في بداية هذا العام الجديد: (السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام على الحسين الشهيد).

فلقد جعلت شهادتك وجهادك وثباتك الإسلام متألّقاً، وأحْيَت الدين المحمدي الأصيل، ولولا شهادتك لم يبقى للدين من أثر.

إن قلوبنا اليوم مشتاقة أيضاً إلى الحسين بن علي عليه السلام ، ولمرقده ــ صاحب الجوانب الستة ــ وقبره الطاهر، ومهما بَعُدت الشقّة، فسوف نبقى نتحدث عن ذكرى ومحبّة الحسين بن علي عليه السلام.

لقد قطعنا عهداً على أنفسنا، وسنبقى على هذا العهد، بأن لا يترك ذكر الحسين واسمه ومسيرته من حياتنا أبداً، وهذه هي مشاعر كافة أفراد شعبنا وشيعة العالم بأجمعهم تجاه الإمام الحسين بن علي عليه السلام، بل هو شعور جميع الأحرار في كافة أنحاء العالم.

لقد زيّن إسم النبي الأكرم عامنا في هذه السنّة، فما الذي يمكنني قوله في صدد الرسول الأعظم (ص) في هذا العام؟

لا يسعني إلا أن أقول: بأنّ الرسول الأكرم يمثل مجموع كافة فصائل الأنبياء والأولياء، وصورة كاملة ومتكاملة لجميع الفضائل التي حملها ركب أنبياء الله وأوليائه على مرّ التاريخ.

اسم أحمد هو اسم لجميع الأنبياء فإذا بلغنا المئة فمعها التسعين جاء[3]

[3] ترجمة لبيت الشعر الفارسي: نام احمد نام جمله انبياست چون كه صد آمد نود هم پيش ماست.

عندما نذكر إسم الرسول الأكرم (ص)، فكأنما تتجسّد وتتبلور في هذا الوجود المقدس شخصية النبي إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ولقمان، وجميع عباد الله الصالحين والعظماء، وشخصية أمير المؤمنين وأئمة الهدى عليهم السلام.

ويمكننا أن نشبّه الرسول الأكرم بأعظم النجوم المتألقة في عالم الوجود، ونعبّر عن وجوه الواسع المقدس بهذا التعبير، لماذا نمثّله بالنجوم المنيرة لا بالشمس؟

لأنّ الشمس جسم وجرم واحد، مشخّص ومحدّد ــ منير عظيم ــ أما النجوم التي نراها فإنّ بعضها تشكّل مجرّةً كاملةً، هي أكبر آلاف المرات من المجرّة التي نراها في السماء الدنيا أثناء الليل الصيفية الصافية.

والمجرّة: هي المجموعة التي تتكون من آلاف المنظومات والشموس، فوجود الرسول الأكرم (ص) كالمجرّة التي تحتوي على آلاف النقاط المضيئة من الفضيلة.

إنَّ من خصائص الرسول الأكرم (ص) هو امتلاكه العلم المقرون بالأخلاق، والحكومة المقرونة بالحكمة، وعبادة الله المقرونة بخدمة الناس، والجهاد المقرون بالرحمة، وحبّ الله المقرون بحبّ عباد الله، والعزة المقرونة بالتواضع، والحداثة المقرون بالحزم، والصدق والشفافية مع الناس المقرونة بالحنكة السياسية، والذوبان في ذات الله المقرون بالمحافظة على سلامة الجسم وصحته، والدنيا المقرونة بالآخرة، والأهداف الإلهية السامية المقرونة بالأهداف الإنسانية الجميلة.

إنّ الرسول (ص) مثال متكامل لموجودٍ لم يخلق الله أكمل منه في عالم الوجود، وهو مُبشّر ومنذر، ومطّلع على جميع أحوال البشر وشاهد عليهم، وداعيهم لطاعة الله وسراجاً منيراً في طريق الإنسانية {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}[4].

إنّ تسمية العام بعام الرسول الأكرم (ص)، يمثل مجرّة ناصعة بالنسبة للشعب والحكومة، فضلاً عن كون وجود اسم الرسول الأكرم (ص) في الساحة الدولية، يمثل نقطة التقاء لجميع عقائد وعواطف جميع الشعوب المسلمة بمختلف

[4] سورة الأحزاب: الآية، 46.

قومياتها ومذاهبها؛ ولهذا تقع على عاتقنا مسؤولية كبيرة؛ لكوننا نعيش في مثل هذا العام الذي يحمل هذا الإسم المبارك.

فينبغي لشعبنا وحكومتنا أن تعمل في هذا العام بطريقة تنسجم مع الحكمة والعلم والعدالة والأخلاق والكرامة والتواضع والعزّة والجهاد والرحمة النبوية.

وهذا لا يمكن تحقيقه في عام واحد، كما أنّ وجود النبي (ص) ليس مقتصراً على عام واحد، بل إنّ التاريخ كلّه والأعوام كلّها تابعة لوجوده المقدّس؛ لكن تسمية العام الجديد باسم الرسول الأعظم تعني إننا عازمون في هذا العام على القيام بقفزة نوعية، وخطوة كبيرة؛ للوصول إلى مجتمع وحضارة تمثّل أهداف الرسول الأكرم (ص)، وأن نجعل هذا العام عاماً للتطلّعات الكبيرة والأمل والعمل والجهاد والخدمة، والخطط المُدَبّرة، والتقدّم نحو الأمام؛ من أجل مستقبل البلد.

لنلقي الآن نظرة على الأوضاع العامة للبلد، حيث نستقبل اليوم عاماً جديداً، تسلّمت فيه حكومة جديدة مهامها.

إنّ كل حكومة تتسلّم السلطة تقوم ببيان خصائص دورتها الجديدة، وتشرع في بداية العام بتنفيذ هذه الخصائص، وهذا ليس معناه الإنحراف عن المسيرة، ولا يعني تخلّي الشعب عن أهدافه الأساسية والسامية بسبب تبديل الحكومة كلا، بل معناه الإستفادة من تطورات الدورات الحكومية السابقة، مع الإقتران بالإبداع، والسرعة في العمل، وتصحيح ما أُرتكب من أخطاء أحياناً، على فرض ارتكابها من قِبَل الدورات السابقة.

إنَّ مَثَل الشعب عند تغيير الحكومة التي يقوم بانتخابها بنفسه، كمثل مسافر في طريق ما، عندما يصل إلى مكان معيّن، يبدّل واسطته التي اُستُهلكت أو عجزت، بأخرى جديدة جاهزة للعمل ومنسجمة مع المرحلة المناسبه؛ ليستمر في سفره.

فإذا ما وجد انحرافاً أحياناً عن المسيرة الصحيحة في مرحلة سابقة، يعود بها إلى جادة الصواب ويستمر في مسيره للتقدم نحو الأهداف السامية؛ وهذه مهمّة الشعب التي يقوم بها تجاه الحكومة، فهو الذي يميّز بين الأشخاص الذين يحمل

كل منهم شعاراً خاصاً به ويتميّز عن غيره بشخصية ومظهر معيّن، فيفضّل الشعب أحدهم، ويُنتخب من قِبَل أكثريتهم.

إنَّ الحكومة في أي دورة من دوراتها هي حكومة الشعب، تعبّر عن رغبة الشعب وإرادته، وإنَّ هدف الحكومة الجديدة التي تسلّمت مهامها قبل ستة أشهر هو: التصميم الراسخ على الخدمة الدؤوبة للشعب، ووضع جميع إمكاناتها في ميدان العمل، وإبراز الأهداف العليا للثورة، هذه هي مميزات الحكومة الجديدة.

إنَّ هذه الحكومة المنتخبة ــ ومن خلال اعتمادهما على شعارات الثورة والإمام العظيم ــ تسعى ــ من خلال بذل كل طاقاتها ــ لحلّ مشاكل وأزمات الشعب، بالإضافة إلى تقوية البنى التحتية للبلد بأسرع ما يمكن، وعلى أفضل صورة وأتمها للوصول إلى وضعاً مستقبلياً متقدماً, مع الإعتماد على الاستقلال الوطني، وعزّة الشعب الإيراني في المحافل الدولية.

إنَّ من بين الوسائل الرئيسية لممثلي السياسة في المجالات الدولية الخداع والتهديد، فإذا وقفت الحكومة حيال أحابيلهم وتهديداتهم واعتمدت على الشعب؛ فسوف تحقق نجاحات كبيرة.

إننا نرى ونشعر أنَّ هذه الحكومة عازمة على حفظ العزّة والإستقلال الوطني للشعب الإيراني، بما يتناسب وشأنه.

إنَّ ما تقوم به الحكومة ورئيس الجمهورية الجديد من نشاطات، وما يطلقونه من شعارات يجعلنا قادرين على أن نقول باختصار: إنّهم عازمون على قطع خطوات كبيرة نحو التقدم، في مجال توفير الخدمات، وتحقيق العلم، وتأمين احتياجات البلد.

أعزائي: يتمتع بلدنا بإمكانيات تضاهي إمكانيات البلدان المتطورة، ويمكن لنا أن نصبح في مقدمة البلدان المتطورة في العالم؛ لِما نتمتع به من قوى بشرية وقابليات طبيعية وإنسانية.

لقد بدأ التواجد في ميدان التطوّر بعد الثورة، ومن الطبيعي أن التنمية والتقدّم بلا عدالة ليس له معنى في منطق الجمهورية الإسلامية.

إنَّ التقدم المقرون بالعدالة يحتاج إلى العمل الدؤوب والعزيمة الراسخة والبرنامج الدقيق، والأهم من ذلك كله هو وقوف الشعب إلى جانب الحكومة وإبداء معونته الحقيقية؛ من أجل تحقيق التقدم المقرونة بالعدالة، الذي يليق بهذا الشعب.

فإذا ما أردنا أن يصبح هذا التقدّم المقرون بالعدالة من خصوصيات بلدنا وشعبنا، فعلينا الإستفادة من جميع المساعي التي بذلتها الحكومات السابقة، وما حققته من إبداع وإنتاج للشعب؛ بسبب جهود مسؤوليها السابقين، علينا بشد العزم من أجل الإبداع والإنتاج، وهذا ما يحتاجه البلد.

ما المقصود من الإنتاج؟ الإنتاج لا يعني الاقتصار على إنتاج البضائع فقط، بل ينبغي أن يكون الإنتاج هدفاً للشعب في مجالات واسعة، كالإنتاج في العمل والعلم والتقنية والثروة والمعرفة والفرص والعزّة والمكانة وإنتاج البضائع والكوادر الفاعلة.

إنَّ رمز سعادة شعبنا يكمن في شحذ الهمم من قِبَل الحكومة والشعب؛ لتحقيق الإنتاج في المجالات الواسعة؛ لأنّه يؤدي إلى تحقيق الاستقرار الوطني والقوّة والتقدم للبلد، وهو جهاد في سبيل الله.

إنني اليوم أقول لمسؤولي الحكومة وموظفيها وكذلك للشعب، وخاصةً الشباب: إنَّ الإنتاج في المجال العلمي والعملي والتقني، وإنتاج البضائع التي يحتاجها الناس والكوادر الفعّالة، وإنتاج الفرص والعزّة، هو جهاد في سبيل الله، والمواطن المنتج هو مجاهد في سبيل الله، فلابد لنا من طلب العلم وتحقيق الإنتاج في المجال العلمي، وجعل بلدنا بلداً علمياً.

ففي رواية عن أمير المؤمنين أنه قال: «العلم سلطان، من وجده صأل ومن لم يجده صيل عليه»[5]؛ أي أنَّ العلم قوّة، وكل شخص أو شعب يحصل على العلم سوف تتحقق له السيادة، وكل شعب يفتقر إلى العلم، عليه أن يتهيّأ لتسلّط الآخرين عليه، فعلينا أن نجعل العلم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى جهاداً في سبيل الله، هذا ما أريد أن أقوله للشباب والأساتذة والجامعيين.

---

[5] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ص: 319.

بالإضافة إلى ذلك فإنَّ العلم وحده لا يحقق الهدف، بل لابد أن نوصل العلم بالتقنية، والتقنية بالصناعة، والصناعة بتنمية البلد، فليس هناك فائدة في الصناعة التي لا تكون سبباً لتنمية وتقدّم البلد، وإنَّ العلم الذي لا ينتج من خلال التقنية سوف لا يكون نافعاً؛ ولهذا فإنَّ مهمة الجامعات ومراكز التربية والتعليم ومؤسسات البحوث والتحقيق سوف تكون شاقة.

يمثّل التقدّم المقرون بالعدالة نهضة شاملة لا تقتصر على عام واحد، وإننا لم نكن قد بدأنا نهضتنا التقدمية هذه حديثاً، ولا نريد أن نبدأها الآن، بل بدأت في أوائل الثورة بالتناسب مع استعداد وقوّة الحكومات والمسؤولين السابقين، فقد بذل الشعب والحكومات السابقة مساعياً كبيرة من أجل ذلك، ونحن نرى اليوم آثار ذلك في حياتنا اليومية.

إنَّ الجهود التي بذلتها الأجيال الماضية توفّر الفرصة للجيل الجديد؛ من أجل أن يخطوا خطوات كبيرة نحو التقدّم.

بناءً على ذلك فإنَّ نهضتنا لم تكن قد بدأت اليوم، بل بدأت سابقاً، ولا يمكن أن تنتهي في عام واحد، إلا أننا عندما نقول: إنَّ هذا العام هو عام النبي الأكرم (ص)، فهذا يعني أنَّ علينا أن نقفز قفزة نوعية جماعية ــ الحكومة والشعب ــ من أجل تحقيق التقدّم، ويجب على كل مواطن في أي نقطة من نقاط هذا البلد، أن يخطو خطوة كبيرة نحو الأمام.

وعلى قول ذلك العالم الربّاني ــ الذي كان يريد أن يَعِضَ الناس الذين اجتمعوا في أحد المساجد المكتظّة بالحاضرين، بحيث أدى الزحام إلى أن يبقى بعضهم خارج المسجد، وكان قد قام حينذاك أحد الجالسين وقال: (رحم الله من قام من مكانه وتقدم خطوة إلى الأمام)؛ وذلك من أجل أن يفسح المجال لدخول من بقي خارجاً ــ حيث قال هذا العالم الربّاني بعد أن يمّم وجهه نحو الناس: ليس لدي ما أعظكم به، فكل ما لديّ من كلام قد قاله هذا الرجل، وهذا كل ما أردت قوله، إنني أردت القول: أيَّها الناس، أينما تكونوا إحرصوا على أن تتقدموا خطوة إلى الأمام.

عليكم أن تتقدموا خطوة إلى الأمام في مجال العبادة وفي مجال طلب العلم والإنتاج، وعلى كل من العامل ومدير المصنع والأستاذ والطالب وموظف الحكومة والباحث في الحوزة والجامعة أن يتقدموا خطوة إلى الأمام؛ لأنّه ليس هناك توقّف أو تخلّف أو تحجّر أو يأس في فكر وثقافة الرسول الأكرم (ص)، فقد حارب رسولنا الأكرم (ص) اليأس، وجعل الفرد المسلم يرفل بالأمل.

طبعاً إنَّ لدينا أعداء وهم مستاؤون من حركة شعبنا نحو التطوّر، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية.

ما ذا يريد أن يقول قادة السياسة الأمريكية للشعب الإيراني؟

إنتبهوا، لكي أبين لكم ما يدور في قلوب مديري السياسة الأمريكية، فهم يتفوّهون بأمور كثيرة، لكن ما يدور في قلوبهم شيء واحد، وهو قولهم أيَّها الشعب الإيراني: أعيدوا إلينا ما أخذته ثورتكم منّا، فقد كنّا نهيمن على اقتصاد وسياسة وثقافة بلدكم قبل الثورة، وعندما كان يريد رئيس بلدكم أن يصدر قراراته الدولية، كان يأخذ الرخصة والإذن من سفيرنا.

هذا هو الواقع، فلقد كان الشاه البهلوي الملعون يتشاور مع سفير أمريكا وبريطانية ليسمحوا له لعقد صفقات بيع النفط وإجراء الاتفاقات الدولية والعلاقات السياسية والدبلماسية المختلفة، وحتى في طريقة تعامله مع الناس.

ما يريد أن يقوله الساسة الأمريكيون هو: إننا كنّا مسيطرين على بلدكم، وجاءت ثورتكم وأخرجتنا منه، فارجعوا إلينا بلدكم ثانيةً لكي نتسلط عليكم؛ ولهذا تراهم اليوم يطلقون الإتهامات بشأن مسألة حقوق الإنسان، والطاقة النووية، والديمقراطية، والإرهاب، وما هي إلا إتهامات باطلة يريدون من روائها أن يقولوا: دعونا نقوم بتعيين حكومتكم كما في السابق، ونفرض هيمنتنا على اقتصادكم، ونحدد بأنفسنا في أي قطب من أقطاب العالم تكونون، مثلما يفعلون مع بعض البلدان الأخرى، وهو ما يتوقعونه من الشعب الإيراني!

سبع وعشرون سنة وأمريكا في صراع مع الشعب الإيراني، ولم يختلف اليوم عن الأمس، فما تبديه أمريكا اليوم، هو نفس الأمر الذي كان مترسخاً في أذهانهم تجاه الشعب الإيراني على امتداد سبع وعشرون سنة.

إنَّ وسائلهم العدائية عبارة عن التهديد والتخويف والترويج للحرب النفسية، وتوهين همّة الشعب وزرع اليأس في قلوبهم، والعمل على التفرقة وإثارة النعرات الطائفية، هذا ما يستخدمه أعداء الشعب الإيراني عند تمكنهم من ذلك.

إنَّهم يقومون بالضغوط الإستنزافية، وتعظيم الأمور وتضخيمها من خلال وسائل الإعلام؛ من أجل إثارة حالة عدم الإستقرار في قلوب الشعب، وزرع الشك والشبهة في إمكانية نجاحهم ومستقبلهم وكفائة مسؤوليهم، هذا ما يقوم به العدو.

ويقومون بتوجيه الضغوط لعلهم يتمكنون من بثّ الفرقة بين المسؤولين، أو يضطر أصحاب القرار في البلد للتخلّي عن قراراتهم الكبيرة، هذه هي طرق العدو ووسائله، فليس له وسائل أخرى.

يقوم الأعداء بتهديد الشعب الإيراني بالحصار الاقتصادي، وكأنّهم لم يفرضوه لحد الآن! أم لم يكن قد عانى ما عانى الشعب تحت وطأة الحصار الاقتصادي التي فرضته القوى الجائرة؟!

إنَّ ما حققناه اليوم من تطوّر، وحيازتنا على المقام الأول ــ في مجال العلم والصناعة وبعض الحرف ــ في المنطقة، لم يتحقق إلا في ظروف الحصار.

لقد حققنا تقدّم في المجال العسكري والعلمي، وكذلك في المجال الطبي، حيث حققنا تقدمّاً مدهشاً، وتقدمنا في مجال الصناعة وبعض الحرف المعقّدة جداً والتي لا تخطر على بال شعوب العالم، وتقدمنا في مجال العلوم الحياتية، وفي بعض أنواع المعارف التي لا يعطيها أصحابها لأحد بتاتاً، سوى مجموعة صغيرة من التابعين لهم، كل ذلك تحقق في ظروف الحصار.

فلو لم يفرضوا الحصار ربما لم نكن قد وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم، ولو أعطيناهم مبالغاً ثمناً لشراء الأسلحة المتدنية منهم، لم يكن قد يخطر ببالنا يوماً من الأيام الاستفادة من طاقات وإبداعات شبابنا.

إنّنا اليوم نقوم بصناعة الطائرات والدروع والصواريخ، ونحتل مكانة متقدمة بالنسبة لكثير من دول المنطقة، ولو كنّا قد فتحنا لهم أسواقنا ليعطونا كل ما نريد

مقابل ما يأخذوه من أمولنا ــ التي يضعونها في خزائنهم ــ لم نصل اليوم إلى هذا التطوّر، فهل يمكن أن يخيفونا بالحصار بعد ذلك؟!

يدّعون بأننا مُنزوون عن المجتمع الدولي، ونحن نقول لهم: ليس نحن المنزوون بل أنتم، وإنَّ العالم بأسره اليوم مستاء من تصرفات الإدارة الأمريكية، ولو ذهب أي شخص إلى أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي من أندنوسيا إلى المغرب وسأل الناس، فسيجيبونهم بأنّهم يكرهون حكّام البيت الأبيض من أعماق قلوبهم.

ولو أردنا تعيين من يصدق عليه أنّه منزوي إيران أم أمريكا، فإنّنا نقترح إجراء استفتاء في العالم الإسلامي؛ لتبيين الحقيقة أكثر، من خلال تقييم مدى شعبية الرئيس الإيراني والرئيس الأمريكي، ولو أنَّ قادة أمريكا لا يخشون النتائج المذلّة لهذا الاستفتاء، فهذه الكرة وهذا الملعب فليدخلوا ساحة المواجهة.

إنَّ الشعوب اليوم وكثير من الحكومات تكره أمريكا، إلا أنَّ مصالحهم لا تسمح لهم إظهار هذه الكراهية في الملأ، مع أنّ كراهيتهم لها ليس أقل من كراهيتنا أحياناً.

إنّهم يتّهمون الجمهورية الإسلامية بانتهاك حقوق الإنسان، وهذا يعتبر من النكات المضحكة لهذا العصر! فأمريكا تعتبر نفسها اليوم الرائدة في الدفاع عن حقوق الإنسان! أي أمريكا؟

أمريكا هيروشيما، وأمريكا غوانتانامو وأبو غريب، وأمريكا الباعثة على الحرب وعدم الإستقرار في كثير من مناطق العالم، وأمريكا التعتيم والرقابة في داخل أمريكا نفسها، فإنَّ مسألة التعتيم والرقابة على الفكر والكتابة والبيان في أمريكا، هي من المسائل المهمة والمثيرة جداً التي ليس هناك وقت للإشارة إليها الآن.

إنَّهم يتّهمونا بانتهاك حقوق الإنسان، مع أنَّهم أكبر المنتهكين لحقوق الإنسان، ولو أجرينا في الوقت الراهن في العالم ــ وليس في العالم الإسلامي وحسب، بل على المستوى العالمي ــ استفتاءً عالمياً بصدد الرئيس الأمريكي الحالي[6]،

[6] جورج دبليو بوش.

فلا ريب أنّه سيقع في نفس الخانة التي وقع فيها شارون وصدام وميلوشيفيتش[7] باعتبارهم نماذج للشر.

إنَّ أمريكا في الوقت الراهن تشكّل تهديداً كبيراً للسلام والإستقرار العالمي؛ ولهذا لم يُعد شعار (الموت لأمريكا) مقتصراً على الشعب الإيراني، فإنَّكم ترون اليوم كيف تحرق الشعوب تمثال الرئيس الأمريكي في أرجاء العالم مع إطلاقهم لشعار الموت لأمريكا؛ ويعود سبب ذلك إلى أطماع النظام الأمريكي المتزايدة واستكباره وتكبره وهيمنته على الشعوب، وباعتباره أصبح ألعوبة بيد الصهاينة، حقاً إنَّه ألعوبة بيد الصهاينة.

إنَّني سوف أذكر الآن عبارة تتعلق بما يثار هذه الأيام في وسائل الإعلام العالمية المختلفة، ثم أشرع بالكلام عن مسألة الطاقة النووية.

وهي مسألة المباحثات مع أمريكا، التي أصبحت موضوعاً لوسائل الإعلام التابعة للمستكبرين والمتسلطين.

لقد صرّحنا ونصرّح في الوقت الراهن أيضاً: بأننّا لا نتباحث مع أمريكا في أي مسألة من مسائل مورد الخلاف بيننا وبينهم؛ والدليل على رفضنا واضح، وهو أنَّ أمريكا تستخدم المباحثات كوسيلة لفرض رغباتها علينا.

فليس لمباحثات أمريكا مفهوماً حقيقياً عندما تتفاوض مع الأطراف الأخرى، حيث فقدت ذلك من مفهومها السياسي.

ما هو الغرض من المباحثات؟

الغرض من ذلك تقريب اختلاف وجهات النظر بين طرفين صديقين في مسألة من المسائل، فيتباحثون من أجل أن يتحرك كل منهما عن موضع نقطة الخلاف، ويتجه نحو موضع نقطة الإلتقاء؛ من أجل التوصّل إلى الإتفاق، إلا أنَّ أمريكا لا تؤمن بمباحثات بهذا المعنى، فهي تتخذ المباحثات وسيلة لفرض

---

[7] ميلوشيفيتش، سلوبودان (1941م ــ ..). سياسي صربي تولى رئاسة جمهورية صربيا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة، في عام 1989م، اشتهر بقوميته المتطرفة. وفر السلاح والمقاتلين للصرب الذين يعيشون في كل من كرواتيا والبوسنة والهرسك، وهما جمهوريتان يوغوسلافيتان أعلنتا استقلالهما في أوائل عام 1990م، مما أدى إلى اندلاع الحرب الصرب ضد المسلمين. شجع ميلوشيفيتش الصرب على ممارسة التطهير العرقي، في البوسنة والهرسك.

شروطها، وتشديد الضغوط، وبناءً على ذلك فالمباحثات مع أمريكا غير مجدية في جميع المسائل.

إنَّ ما يطرح هذه الأيام بالنسبة للتباحث مع أمريكا بصدد قضية الإستقرار في العراق، كان نتيجة للمناشدات المتكررة والمتتالية من قِبَل مسؤولي أمريكا ــ سواءً كانوا في العراق أم خارج العراق ــ لمسؤولينا، حيث لم يعير مسؤولينا أهميةً لذلك في بادئ الأمر، إلا أنَّهم وافقوا بعد ذلك مضطرّين؛ على أمل الوقوف للحيلولة دون المخاطر المفجعة التي يعاني منها الشعب العراقي، وإيصال وجهات نظرنا إلى الجانب الأمريكي في هذه المسألة.

ما هي وجهات نظرنا؟

إنَّ وجهات نظرنا إعلام الأمريكيين بأنَّ عليهم أن يرفعوا أيديهم عن العراق، لكي يقوم الشعب العراقي بإدارة بلده بنفسه، ويتجنبوا إثارة النعرات الطائفية من أجل إستقرار العراق.

إنَّ الشعب العراقي يستطيع إدارة بلده وتحقيق إستقراره بنفسه؛ لأنَّ هناك قرائن كثيرة تدل على أنَّ الأجهزة الجاسوسية الأمريكية أو البريطانية أو الصهيونية تقف على أعتاب خلفية عدم الإستقرار في العراق؛ ولهذا فإنَّ الحفاظ على الإستقرار في العراق كان هو الباعث على قبولنا المباحثات.

إلا أنه مع ذلك قام الأمريكيون أيضاً بإظهار روح التسلّط والهيمنة والدجل في هذه المسألة، فقد أخذوا يدّعون بأنّ إيران تريد أن تتباحث في مسائلها المختلفة مع أمريكا، وكذلك أخذوا يتشدقون بتعابير نابية وقبيحة كثيرة، وعلى أثر روح التكبر والدجل هذه قال البعض من المسؤولين الأمريكيين: إنَّ قبول المباحثات هو بمثابة امتثال مسؤول إيراني بين أيدينا.

إنني أقول: إنَّ الحكومة الأمريكية سوف تندم إذا ما حاولت أن تقوم بإحضار مسؤولاً إيرانياً.

لا يوجد لدينا مانع من المباحثات إذا ما استطاع مسؤولونا المعنيون التباحث؛ من أجل تفهيم وتنبيه الأمريكيين بمسألة من المسائل التي ترتبط بإستقرار الأمن في العراق، لكن إذا كانت المباحثات بمعنى أن يفسح المجال للأطراف المتسلّطة

والمغرورة والمخادعة لفرض شروطهم بالقوة، فسوف يكون هذا الأمر ممنوعاً كبقية الأمور التي صرّحنا بها.

إنَّ عزّة وثبات ومقاومة شعبنا هو سبب قدرتنا وتقدّم بلدنا، ولا نسمح بالطعن في ذلك جرّاء بعض التوهمات.

سوف أتكلم بعض الشيء عن مسألة الطاقة النووية.

إنّ خلاصة ما يريد أن يقوله العدو للشعب الإيراني هو: عدم استحقاقه لامتلاك التقنية النووية، لماذا؟

لأنَّ التقنية النووية تؤدي إلى قوتهم في مجالات مختلفة، فيريد أن يمنعهم من امتلاك هذه التقنية لكي يبقوا ضعفاء، ليتسلط عليهم بسهولة، فعلى الشعب أن يعي عمق معنى كلام العدو؛ لأنَّ القضية تكمن في أنَّ الطاقة النووية والقدرة على إنتاج الوقود النووي سوف تكون إحدى الإحتياجات الضرورية والحتمية للشعب الإيراني في السنوات القريبة المقبلة.

فإذا لم يحقق الشعب الإيراني التقنية النووية لبلده في الوقت الراهن، فسوف يمدّ هذا الشعب بعد بضعة سنوات يد العوز إلى الأجانب، والى الأعداء في بعض الأحيان؛ للحصول على الإحتياجات الضرورية جداً؛ وذلك عندما يغزوا الشباب سوق العمل والإنتاج، وتزداد نفوس الشعب الإيراني ملايين أخرى على ما هي عليه الآن، وسوف يكون أمرنا حينذاك كما لو أننا كنا لا نمتلك النفط في الوقت الحاضر، مع العلم أنَّ النفط يعتبر مصدراً قابلاً للنفاذ وغير قابل للتعويض، ولا يبقى إلى الأبد، فإذا ما اُستُهلِك بالمقدار الذي يستهلكه الشعب في الوقت الحاضر، فسوف ينفذ نفط الشعب الإيراني خلال عشرين سنة أو خمسة وعشرين سنة

إنَّ العالم يتّجه اليوم نحو الطاقة البديلة للنفط، التي تعتبر الطاقة النووية أهمها وأكثرها اطمئناناً على الإطلاق، ولو لم يحصل بلدنا على الطاقة النووية خلال عشرين سنة، فمن أجل إنشاء مصنعٍ ما، سوف يمد يد العوز إلى عناصر لم تكن ترغب في تقدّم الشعب الإيراني، وتحاول إراقة ماء وجهه وسلب عزّته؛ من أجل أن تتصدق عليه بشيء يسير مما تملك.

لقد قلت في وقت من الأوقات ــ هنا في مدينة مشهد المقدسة ــ لدى حضور جمع عظيم من الناس: لو أنَّ هذا النفط الذي نمتلكه اليوم، كان تحت تصرف أوربا وأمريكا، لوجب علينا السجود لهم إزاء كل برميل من النفط يقومون بالتصدق به علينا، وهيهات أن يعطونا ذلك! فهم يرغبون في أن يكون الشعب الإيراني بعد عشرين سنة محتاجاً لهم، ويستجدي أمام أبوابهم؛ من أجل صناعته وزراعته وإدارة عجلة الحياة في بلده، هذه هي أهمية الطاقة النووية.

إنّهم يدّعون الآن أنّ فائدة الطاقة النووية هو لغرض العلاج وتلبية الحاجات الطبية، هذا صحيح، إلا أنّ ذلك لا يُعدّ فائدة من الدرجة الأولى؛ لأنَّ الطاقة النووية تعتبر بالدرجة الأولى من اللوازم الأساسية والضرورية لبلدنا.

فلو لم يحقق مسؤولونا وموظفونا إنجازاً بناءً في مجال الطاقة النووية في الوقت الراهن، فسوف يحقَّ لجميع أفراد الشعب الإيراني أن يلعنهم بعد عشرين سنة، علاوة على أنّهم لا يستطيعون تحقيقه حينذاك، وعندما يحتاج الشعب إلى حاجة من حاجاته، فسوف يبيعونه عليه بأغلى الأثمان، أو لا يعطونه له، أو يقومون بإذلاله والإستهانة به.

هذا هو ما تريده منّا أمريكا، وهو أن ندع ما حصلنا عليه من التقنية بأنفسنا، ليتصدقوا علينا هم بالوقود النووي.

ما هو هدفهم من ذلك؟

إنَّ هدفهم هو أن نقوم نحن بصناعة محطة للطاقة، ثمَّ نمدّ أيدينا لهم من أجل شراء الوقود لهذه المحطة، لكي يبيعونه لنا بأي ثمن أو شرط يرغبون به، وهذا مثيل لما لو أنَّ النفط اليوم كان ملكاً لأمريكا، واحتجنا إليه أو إلى أحد مشتقاته لأجل إنتاج الطاقة، وأردنا أن نحصل عليه من الأمريكيين، فكيف سيعاملوننا حينذاك؟ فعليكم أن تنتبهوا إلى مقدار ما يستهينون بالشعب الإيراني!

عندما نقول: إنّ الطاقة النووية، أو بتعبير أدق التقنية النووية، وعجلة الوقود والقدرة على التنمية النووية هو حقّنا المسلم، فمعنى ذلك أننا عندما لا نقوم بتحقيق هذا للشعب، فسوف يمدّ يد الإستجداء لأعدائه ومخالفيه.

إلا أنَّ الشعب الإيراني سوف لا يخضع لِما يروم له الأعداء.

يقولون لنا تمتلكون النفط، فماذا تصنعون بالطاقة النووية؟! أو هل أنَّ أمريكا لا تمتلك نفطاً؟ إنَّ أمريكا تمتلك نفطاً، فلماذا تمتلك مع ذلك الطاقة النووية؟ حيث صرّح الرئيس الأمريكي أخيراً: بأننا لابد أن نجعل ميزانية أكبر من أجل إنتاج الطاقة النووية.

إنَّ العالم بأسره يتّجه نحو التقدم وتأمين الميزانية من أجل الطاقة النووية، في الوقت الذي يمنعونه عن شعبنا!

إننا نرفض هذه اللهجة، وعلى الشعب الإيراني أن يعلم أنّ مسؤولي بلدنا سوف يرفضون ذلك، وإنّني سوف لا أخضع لهذه الضغوط بأي ثمن كان.

الطاقة النووية والتقنية النووية حقّ مسلّم لكم ــ أيّها الشعب الإيراني ــ ولا يحقّ لأيّ كان أن يغضّ النظر عن هذا الحقّ المسلّم ويتراجع عنه.

إنَّ العدو يثير الشائعات، ويروّج البعض ــ سواء كان يشعر بذلك أم لم يشعر ــ لهذه الشائعات في داخل البلد.

إنَّ حقيقة الأمر هو أنَّكم لو لم تتمسكوا بهذا الحقّ، فسوف يتراجع الشعب الإيراني بمقدار مئات السنين، ويبقى متخلّفاً، وهذا ما لا يرتضيه أي مسؤول، أو مقتدٍ بالرسول الأكرم (ص)، وإنَّ العالم اليوم يعترف بهذا الحق أيضاً

يهددونا اليوم بمجلس الأمن، وكأنّما مجلس الأمن يتواجد في أقاصي العالم، فلقد ذُقنا مرارة تصرفات مجلس الأمن، ففي زمن الحرب المفروضة، عندما كان أفراد النظام العراقي يسيطرون على بضعة آلاف من الكيلومترات من أراضينا، أصدر مجلس الأمن قراراً يقضي علينا بوقف إطلاق النار، وعدم الدفاع والمقاومة، وبما أنّ هذا القرار لم يكن لصالح بلدنا فقد قمنا برفضه، وكل أمر يتعارض مع مصالح بلدنا فسوف نرفضه.

لقد صمد شعبنا وشبابنا وثبت مسؤولونا بكل ما يملكون من قوة، ونحن في عين الله تعالى ورعايته، وإنَّ تأمين مستقبل بلدنا مرهون بعزم وهمّة مسؤولينا وشعبنا، وسوف نبقى ــ إنشاء الله تعالى ــ مصرّين على حقّنا بالإعتماد على همّة الشعب وعزمه وإرادته القوية، ودعم صاحب العصر (عجل الله فرجه الشريف)، ونتمسك به بكل ما نملك من قوة.

إسمحوا لي أن أستغل أنفاسكم المتأججة وقلوبكم الملتهبة وأدعوا قليلاً:
اللهم: بحق عزتك وجلالك وبحق النبي الأكرم (ص) أنزل رحمتك وبركتك وتفضّلك على هذه الأمة المؤمنة والمُقاوِمة.
اللهم: انصر هذا الشعب الوفي للإسلام على أعدائه.
اللهم: مهّد طريق شعبنا وشبابنا نحو مستقبل يليق بهذا الشعب.
اللهم: وفّق مسؤولي البلد لخدمة الشعب يوماً بعد آخر.
اللهم: وسّع بركات الإمام علي بن موسى الرضا (ع) على ساكني هذا البلد وهذه المدينة أكثر فأكثر، واجعلنا من المشمولين بأدعية صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف).
اللهم: ارفع درجات إمامنا الراحل وشهدائنا الأبرار يوماً بعد يوم، واجعلنا من عبادك الصالحين، ومن خَدمة هذا الشعب.
والسّلام عليكم و رحمة اللَّه و بركاته